

اللجنة الدوليّة المشتركة للحوار اللاهوتيّ
بين الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة

سرّ الكهنوت في بنية أسرار الكنيسة
وبخاصّة أهميّة الخلافة الرّسوليّة
من أجل تقديس شعب الله ووحدته

سرّ الكهنوت في بنية أسرار الكنيسة وبخاصّة أهيمية الخلافة الرّسوليّة من أجل تقديس شعب الله ووحده

١- بعد أن عبّرت لجنّتنا عن مفهومنا لسرّ الكنيسة كشركة إيمان وأسرار، الّتي تجلّت كأمة في كلّ درجة من درجات الأسقفية والكهنوتية والشّماسية، سنستند إلى يقين بأنّ الخلافة الرّسوليّة في كنائسنا أساسية لتقديس شعب الله ووحده.

٢- تؤكّد كنائسنا أنّ الخدمة تُحقّق في الكنيسة خدمة المسيح نفسه. ففي كتابات العهد الجديد، يُطلق على المسيح اسم رسول ونيّ وخادم ومعلّم وكاهن (*episcopos*). ويعترف تقليدنا المشترك بالصلة الوثيقة القائمة بين عمل المسيح وعمل الرّوح القدس.

٣- هذا الفهم يمنعنا من أن نُقارب تدبير المسيح بمعزلٍ عن الرّوح القدس. إنّ الحضور الحاليّ للمسيح في الكنيسة هو أيضًا حضور إسكاتولوجيّ، لأنّ الرّوح القدس يُشكّل عُربون الإنجاز الكامل لقصد الله في العالم.

٤- في هذا المنحى، تبدو الكنيسة كجماعة الميثاق الجديد الّتي يجمعها المسيح حوله بفعل الرّوح وبنيتها كجسده. بالكنيسة، المسيح حاضر في التّاريخ، وبها يُحقّق خلاص العالم.

٥- وبما أنّ المسيح حاضرٌ في الكنيسة، فخدمته هي التي تكتمل فيها. الخدمة في الكنيسة لا تحلّ مكان خدمة المسيح. إنّها تستمدّ مصدرها منه. وبما أنّ الرّوح الذي أرسله المسيح يُحيي الكنيسة، لا تُثمر الخدمة إلّا بنعمة الرّوح القدس. فالرّوح يشتمل على عدد من الوظائف التي يُمارسها أعضاء الجماعة وفقًا للهبات المتنوّعة التي يحصلون عليها كأعضاء في جسد المسيح؛ فبعضهم يقبلون الرّسامة ويُمارسون الوظيفة الخاصّة بالأسقفية والكهنوت والشّموسية. لا وجود للكنيسة من دون الخدم التي يُحدثها الرّوح، ولا وجود للخدمة من دون الكنيسة، أي خارج الجماعة وفوقها. لا تجد الخدم معناها وسبب وجودها إلّا في الكنيسة.

أولاً: المسيح والرّوح القدس

٦- إنّ الرّوح القدس الذي ينبثق أزليّاً من الآب ويستقرّ في الابن، قد هيأ حدّث المسيح وحققه. كذلك، اكتمل تجسّد ابن الله وموته وقيامته وفقًا لإرادة الآب في الرّوح القدس. وفي المعمودية، يفتتح الآب من خلال تجلّي الرّوح رسالة الابن. هذا الرّوح حاضر في خدمته: إعلان بشاره الخلاص، وظهور مجيء الملكوت، والشّهادة للآب. وفي الرّوح القدس نفسه، يُقدّم المسيح، كاهن العهد الجديد والوحيد، الذّبيحة عن حياته الخاصّة، ويتمجّد بالرّوح.

٧- منذ العنصرة، في الكنيسة التي هي جسد المسيح، يستطيع الذين يظلمون بالخدمة، بواسطة الروح، أن يقوموا بالأعمال التي تقود الجسد إلى ملء قامته. وفي خدمة المسيح كما في خدمة الكنيسة، الروح هو نفسه الأواحد الذي يعمل والذي سوف يعمل معنا طوال أيام حياتنا.

٨- في الكنيسة، يجب أن تُعاش الخدمة في القداسة من أجل تقديس شعب الله. ولكي يتسنى للكنيسة جمعاء، وبخاصة خدامها المرسومون، أن يُسهموا في «جعل القديسين في موقعٍ يُؤهلهم للقيام بالخدمة لبناء جسد المسيح»، تُضحى الخدم المختلفة مُمكنة بفضل تعدد المواهب (أفس ٤، ١١-١٢؛ راجع ١ قور ١٢، ٤-٢٨؛ رو ١٢، ٤٨).

٩- هذه هي جِدَّة الخدمة في الكنيسة: المسيح، خادم الله من أجل البشرية، حاضر بالروح، في الكنيسة، جسده، الذي لا يُمكن أن ينفصل عنه، لأنه هو نفسه «البكر بين الكثيرين من الإخوة». ووفقاً لوضع الأسرار، ينبغي لنا أن نفهم عمل المسيح في التاريخ منذ العنصرة حتى مجيئه الثاني. خدمة الكنيسة في حد ذاتها هي خدمة تقوم على الأسرار.

١٠- لهذا السبب، إنَّ حضور المسيح في الكنيسة هو أيضاً حضور إسكاتولوجي. فحيث يعمل الروح، يكشف للعالم حضور الملكوت في الخليقة. هذا هو المكان الذي تتجدر فيه الخدمة الكنسية.

١١- هذه الخدمة الكنسية هي طبيعة مبنية على الأسرار. ونقصد بكلمة سرّ الإشارة هنا إلى كلِّ خدمة مرتبطة بالواقع الإسكاتولوجي للملكوت. إنَّ نعمة الروح

القدس، كعربون للعالم الآتي، إنّما تنبع من موت المسيح وقيامته وتقدّم من خلال الأسرار، بواسطة الحقائق الحسيّة. وتبيّن كلمة سرّ أيضًا أنّ الخادم هو عضو في الجماعة، إذ يوليه الرّوح القدس وظائف وسلطة خاصّة ليضمّم شمّل الجماعة وليترأس باسم المسيح الأعمال التي فيها تحتفل الكنيسة بأسرار الخلاص. هذه النظرة إلى أسراريّة الخدمة تترسّخ في كون أنّ المسيح بات حاضرًا في الكنيسة بالرّوح القدس الذي أرسله هو نفسه إلى الكنيسة.

١٢- تتجلّى طبيعة الخدمة الكنسيّة أيضًا في كون أنّ جميع الخدم تبغي خدمة العالم لتقوده إلى هدفه الحقيقيّ، ملكوت الله. فحين يُشكّل خادم الكنيسة الجماعة الإسكاتولوجيّة كجسد للمسيح، يُلبّي حينئذ حاجات العالم.

١٣- إنّ الجماعة التي تلتئم في الرّوح حول المسيح الذي يُمارس خدمته، تجدُ أساسها في المسيح نفسه الذي هو حجر الزاوية وفي جماعة الرّسل الاثني عشر. في ضوء ذلك، يُفهم الطابع الرّسوليّ للكنائس والخدمة.

١٤- فمن جهة، الرّسل الاثنا عشر هم شهود حياة يسوع التّاريخيّة، لخدمته وقيامته. ومن جهة أخرى، بوصفهم شركاء للمسيح المُمجّد، فإنّهم يربطون كلّ جماعة بجماعة آخر الأزمنة. لذلك تُدعى الخدمة الكنسيّة رسوليّة، لأنّها تُمارس في الاستمراريّة والأمانة لما أعطاه المسيح وما نُقل في التّاريخ بواسطة الرّسل. ولكنّها أيضًا رسوليّة لأنّ الجماعة الإفخارستيّة التي يترأسها الخادم هي صورة مُسبقّة للجماعة النّهائيّة مع المسيح. من خلال هذه العلاقة المزدوجة، تبقى الكنيسة مرتبطة دومًا بالاثني عشر، ومن ثمّ بخدمة المسيح.

ثانيًا: الكهنوت في تدبير الخلاص

١٥- يبلغ كلّ تدبير إلهيّ ذروته في تجسّد الابن، في تعليمه وآلامه وقيامته المجيدة، وصعوده ومجيئه الثاني. يعمل المسيح في الرّوح القدس. وهكذا يُتّبت، بشكل نهائيّ، أُسُس استعادة شركة الإنسان مع الله.

١٦- بحسب الرّسالة إلى العبرانيين، أضحي المسيح بموته الوسيط الأّوحد للعهد الجديد (عب ٩، ١٥)، ولكونه دخل مرّة القُدس بدمه الخاصّ (عب ٩، ١٢)، فهو إلى الأبد في السّماء الكاهن الأعظم والأّوحد والأبديّ لهذا الميثاق الجديد، «لِيَمْتَلِ الْآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللَّهِ مِنْ أَجْلِنَا» (عب ٩، ٢٤)، لِيُقَرَّبَ ذَبِيحَتَهُ (عب ١٠، ١٢).

١٧- إنّ المسيح الحاضر في الكنيسة بشكلٍ غير منظور من خلال الرّوح القدس الذي أرسله هو إذاً الكاهن الأعظم والأّوحد. ففيه، وهو الكاهن والضّحيّة، يُشكّل الرّعاة والمؤمنون كلّهم معًا «ذريّةً مختارة، وجماعة الملك الكهنوتيّة، وأّمةً واحدة، وشعبًا اقتناه الله...» (١ بط ٢، ٩؛ راجع رؤيا ٥، ١٠).

١٨- يشترك جميع أعضاء الكنيسة، كأعضاء في جسد المسيح، في كهنوته، إذ هم مدعوّون إلى أن يُصبحوا «ذبيحةً حيّةً مقدّسةً مرضيّةً عند الله» (رو ١٢، ١؛ راجع ١ بط ٢، ٥). والمسيح، رأس الكنيسة، أقام الرّسل الذين اختارهم من بين الشّعب ليُجسّموا حضوره، وزوّدهم بالصّلاحية والسّلطة وقوّاهم بنعمة الرّوح القدس. إنّ عمل رسالة الرّسل في الكنيسة يُتابعه الأساقفة مع الكهنة والشّمامسة الذين

يعاونونهم. ويُصَبَّ الأَسَاقِفَةُ خِلفاء الرِّسْلِ بالسِّيامة ويقودون الشَّعب إلى طُرُق الخِلاص.

١٩- يشهد التلاميذ الاثنا عشر، حول الرَّبِّ الممَّجَّد، لحضور الملكوت الذي تمَّ افتتاحه والذي سيتجلَّى بكَمالِه خلال مجيئه الثاني. فقد وعدَهُم المسيح أن يجلسوا على اثني عشر عرشًا ليحكموا مع ابن الله أسباط إسرائيل الاثني عشر (متى ١٩، ٢٨).

٢٠- وبصفتهم شهودًا تاريخيين على ما حقَّقه الرَّبُّ، تبقى خدمة التلاميذ الاثني عشر فريدة من نوعها ولا يُستعاض عنها. وما أسَّسوه، إمَّا أُسِّس مرَّة واحدة إلى الأبد، وبالتالي ما من أحد يستطيع أن يبني شيئًا إلا على الأساس الذي وُضع على هذا النِّحو (أفسس ٢، ٢٠؛ رؤيا ٢١، ١٤).

٢١- بيد أن الرِّسْل يبقون في الوقت عينه أساس الكنيسة في ديمومتها عبر الأجيال، بحيث تبقى الرِّسالة التي تلقَّوها من الرَّبِّ دومًا مرئية وفعالة، في انتظار عودة الرَّبِّ (راجع متى ١٨، ١٨ و١٦، ١٩).

٢٢- لذا، إنَّ الكنيسة التي تعمل فيها نعمة الله، هي بحدِّ ذاتها سرٌّ بامتياز، والظهور المسبق للحقائق الأخيرة، وبداية تحقيق ملكوت الله، ومجدُّ إله وآب الدهر الآتي (*eschaton*) في التاريخ.

٢٣- في قلب هذا السِّرِّ، الذي هو الكنيسة، يجد الكهنوت مكانه الممنوح بالرَّسامة الذي تُعطيه الكنيسة. ويُشكّل في الكنيسة خدمة (*leitourgéma*) كاريزميّة متميّزة. إنّه في خدمة الحياة ووجود الكنيسة المتواصل بالروح القدس، أي الوحدة في المسيح لجميع المؤمنين الأحياء والأموات، والشهداء والقديسين، وأبرار العهد القديم.

ثالثًا: خدمة الأسقف والكاهن والشّمّاس

٢٤- في احتفال الإفخارستيا، تكون الجماعة كلّها، كلُّ فردٍ فيها بحسب رتبته، «ليترجيًا» الشَّرْكة، ولا يسعها أن تكون هكذا إلّا بالروح القدس. «إنّ الخدمات على أنواع وأما الرّبُّ فهو هو (...). كلٌّ واحد يتلقّى ما يُظهر الروح لأجل الخير العامّ» (١ قو ١٢، ٥، ٧). تلتقي الخدمات المختلفة في الاجتماع الإفخارستيّ التي تُمنح خلاله. ومع ذلك، إنّ تنوّعهم منظمٌ لكافة حياة الجماعة: الأمانة لكلمة الله، الاستمرارية في الانسجام والمحبة الأخويّة، تشهد تجاه «من هم في الخارج»، التّموّ في القداسة، والمثابرة على الصّلاة، والاهتمام بالأكثر فقرًا.

٢٥- إنّ خدمة الأسقف، التي تجذّ ذروتها في احتفال الإفخارستيا وتُكمّل التّنشئة المسيحيّة التي من خلالها يُصبح الجميع جسد المسيح الواحد، هذه الخدمة هي من بين المواهب والخدَم التي يُقدّمها الروح، وهي خدمة ترأس لضمّ الجميع إلى الوحدة. إنّ الكنيسة المحليّة، في الواقع، التي تحمل تنوّع مواهب الروح، التي يكون الأسقف محورها، إنّما تُحقّق شركة وحدة الجميع، وتُعبّر عن ملء الكنيسة.

٢٦- هذه الوحدة في الكنيسة المحليّة لا تنفصل عن الشركة الجامعة للكنائس. إنّهُ لأمر أساسي لكلّ كنيسة أن تكون في شركة مع الكنائس الأخرى. هذه الشركة يُعبّر عنها وتحقّق في المجمع الأسقفيّ ومن خلاله. كذلك يُصبح الأسقف، بسيامته، خادمًا لكنيسة ممثّلها في الشركة الشّاملة.

٢٧- تُعبّر السّيامة الأسقفيّة، التي يمنحها، بموجب القوانين، أسقفان أو ثلاثة على الأقلّ، عن شركة الكنائس مع كنيسة الأسقف المختار، وتضمّه إلى شركة الأساقفة. في السّيامة، يُمارس الأساقفة وظيفتهم كشهود للشركة في الإيمان الرّسوليّ وحياة الأسرار، ليس فقط فيما يتعلّق بالذين يرسمونهم، بل إزاء الكنيسة التي سيُصبح أسقفها أيضًا. ما هو أساسي لانضمام المُنتخب الجديد في الشركة الأسقفيّة، هو أن يتمّ هذا الانضمام بفعل الرّبّ المُمجّد بقوة الرّوح القدس إبان وضع الأيدي.

تُقارب هنا السّيامة من جانب الأسرار فحسب. أمّا المسائل التي تُثار عن طريقة الانتخاب، فسوف تُدرس لاحقًا.

٢٨- تمنح السّيامة الأسقفيّة لمن يقبلها بموهبة الرّوح ملء الكهنوت. وفي أثناء الرّسالة، يُعبّر احتفال الأساقفة المشترك عن وحدة الكنيسة وهويّتها مع الجماعة الرّسوليّة. يَضَعُ الأساقفة أيديهم على المُزْمَع أن يُسام، ويدعون الرّوح القدس، بصفتهم مُحوّلين وحدهم منحه الخدمة الأسقفيّة، إلّا أنّهم يفعلون ذلك في صلاة الجماعة.

٢٩- ينال الأسقف، بسيامته، كلّ السّطات الضّروريّة لتكملة مهمّته. إنّ الشّروط القانونيّة لممارسة وظيفته وتنصيب الأسقف في الكنيسة المحليّة سوف تناقش لاحقًا في اللّجنة.

٣٠- تُكرّس المواهب الممنوحة لمن يقبلها بشكل نهائيّ في خدمة الكنيسة. إنّها نقطة من العقيدة التّقليديّة في الشّرق والغرب تؤكّد أنّ السّيامة لا تُمنح من جديد في حال اتّخاذ عقوبات تديبريّة ضدّ أسقف ما ومن ثمّ إعادته من جديد إلى وظيفته بشكل قانونيّ. في هذا الموضوع، كما في جميع النّقاط الأساسيّة المرتبطة بالسّيامة، تمتلك كنائسنا عقيدة وممارسة مشتركة، ولو أنّ بعض المتطلّبات القانونيّة والتنظيميّة، كالعزوبة، تكون مختلفة لأسباب راعويّة وروحيّة.

٣١- بيد أنّ الخدمة الكنسيّة تُمارس من خلال تنوّع الوظائف التي تتحقّق بالارتباط المتبادل، إذ ما من وظيفة تحلّ مكان الأخرى. وهذا يصحّ بخاصّةٍ لخدمات الأسقف والكاهن والشّماس الأساسيّة، ووظائف العلمانيّين، الذين يبنون معًا الجماعة الإفخارستيّة.

٣٢- أدّت النّساء في تاريخ كنائسنا دورًا أساسيًا تشهد له، إلى جانب أمّ الله القديسة، النّساء القديسات اللّواتي أتى العهد الجديد على ذكرهنّ، وكثير من القديسات اللّواتي نُكرّمهنّ، وكذلك نساء آخر ما برحن حتّى اليوم يخدمن الكنيسة بطرق متعدّدة. إنّ مواهبهنّ الخاصّة مهمّة جدًّا في بناء جسد المسيح. بيد أنّ كنائسنا تبقى أمينة لتقليدها التّاريخيّ واللاهوتيّ الذي بموجبه لا تمنح الرّسامة الكهنوتيّة إلّا للرجال.

٣٣- وكما أنّ الرّسل جمعوا الجماعات الأولى بتبشيرهم بالمسيح، واحتفالهم بالإفخارستيا، وقيادة المعمّدين إلى شركة متنامية مع المسيح ومع بعضهم بعضاً، كذلك الأسقف، الذي أقامه الرّوح عينه، يُتابع التبشير بالإنجيل نفسه، ويتّزأس الإفخارستيا نفسها، ويخدم وحدة الجماعة عينها ويُقدّسها. فهو إذاً أيقونة المسيح الخادم بين إخوته.

٣٤- بما أنّ الكنيسة تتجلّى بالكمال في الإفخارستيا، كذلك يتجلّى دور الأسقف والكاهن بملء النور في ترأس الإفخارستيا.

٣٥- في الاحتفال الإفخارستيّ، يقدّم المؤمنون ذواتهم مع المسيح كهنوتاً ملوكياً. يفعلون ذلك بفضل عمل الخدمة الذي يجعل المسيح حاضرًا بينهم وهو يُبشّر بالكلمة، ويجعل من الخبز والكأس جسده ودمه، ويضمّمهم إليه ويمنحهم حياته. وعلاوةً على ذلك، إنّ صلاة الشّعب وتقدمته، المتّحدة بالمسيح، يلحّصها الأسقف في صلاة الشّكر وفي تقديمه القرايين.

٣٦- على هذا النّحو، تُحقّق الإفخارستيا وحدة الجماعة الكنيسة، وتُظهر أيضاً وحدة جميع الكنائس التي تحتفل بها في الحقّ، بل أكثر من ذلك، الوحدة عبر الأجيال بين جميع الكنائس والجماعة الرّسوليّة منذ نشأتها حتّى اليوم. وتنضمّ في الرّوح، إلى أبعد من التاريخ، إلى تجمّع الرّسل والشّهداء والشّهود الذين يجتمعون حول الحَمَل في جميع الأوقات. وهكذا تجعل الإفخارستيا، عمل الخدمة الأسقفية المركزيّ، العالم الآتي حاضرًا منذ الآن: الكنيسة الملتزمة في الشركة التي تُقدّم ذاتها للآب بالابن وفي الرّوح القدس.

٣٧- يحمل الذي يتراأس الإفخارستيا مسؤوليّة حِفْظِ الشَّرْكَةِ في الأمانة لتعليم الرّسل وقيادتها إلى الحياة الجديدة. إنّه خادمها وراعيها. الأسقف هو أيضًا الدليل للحياة الليتurgiّة كلّها في كنيسته المحليّة، بحيث تُصبح على مثاله جماعة صلاة. يتراأس صلاة التّسبيح والدّعاء، ويُصلّي هو نفسه من دون كللٍ من أجل جميع من أوكلهم إليه الرّبّ، إذ هو يعرف أنّه مسؤول عن كلّ واحد أمام منبر الله.

٣٨- ويعود إليه السّهر على أن يُعطى شعبه، بالوعظ والتّعليم الدّينيّ، المضمون الأصيل لكلمة الله التي سلّمت إلى الرّسل «لمرّة واحدة». إنّه في الواقع المسؤول الأوّل عن إعلان كلمة الله في أبرشيّته.

٣٩- وتعود إليه أيضًا مسؤوليّة قيادة هذا الشّعب إلى إعلان الخلاص في يسوع المسيح لجميع النّاس، وإلى شهادةٍ تُجسّد هذا الإعلان. ويعود إليه إذًا أن يُدير كنيسته بحيث تبقى أمانة لدعوّتها المسيحيّة وللرسالة النّاجمة عنها. وفي هذا كلّه، يبقى الأسقف عضوًا في الكنيسة مدعوًّا إلى القداسة ومرتبطًا بخدمة الكنيسة الخلاصيّة، كما يُذكر أوغسطينوس جماعته: «أنا أسقف من أجلكم، ومسيحيّ معكم». وإبّان السّيامة، يتبنّى الأسقف إيمان الكنيسة كلّه ويعترف به رسميًا ويُصبح هكذا أبًا بمقدار ما أصبح ابنًا للكنيسة بهذا الاعتراف. إنّه أمر أساسيّ أن يكون الأسقف أبًا لشعبه.

٤٠- الأساقفة مسؤولون، كخلفاء للرّسل، عن الشَّرْكَةِ في الإيمان الرّسوليّ وعن الأمانة لمتطلّبات الحياة وفقًا للإنجيل.

٤١- يكتمل دور الأسقف في رئاسة الجماعة الإفخارستية. ويُشكّل الكهنة المجلس الذي يُحيط به خلال الاحتفال. يمارسون المسؤوليات التي أوكلها إليهم الأسقف بالاحتفال بالأسرار وتعليم كلمة الله وإدارة الجماعة في شراكة عميقة ومستمرة معه. يرتبط الشّماس بخدمة الأسقف والكاهن ويكون حلقة وصل بينهما وبين جماعة المؤمنين.

٤٢- إنّ الكاهن الذي يرسمه الأسقف، ويبقى مرتبطاً به، يُرسل لأداء مهامّ محدّدة؛ إنّه يُرسل بشكل خاصّ إلى جماعة راعوية كي يكون راعيها: يترأس الإفخارستيا على المذبح (الذي كرّسه الأسقف)، ويخدم الأسرار للجماعة، ويُبشّر بالإنجيل ويُعلّم المبادئ الدّينية، ومهمّته أن يحفظ في الوحدة مواهب شعب (Iaos) الله، ويظهر كالحادم العاديّ للجماعة الإفخارستية المحليّة، وتبدو الأبرشية إذّاك كشركة للجماعات الإفخارستية.

٤٣- تُمارس الشّماسية في خدمة الأسقف والكاهن في اللّيترجيا والتّبشير وخدمة المحبّة.

رابعاً: الخلافة الرّسوليّة

٤٤- تبقى خدمة المسيح والرّسل نفسها، الفريدة من نوعها، عاملةً في التّاريخ. هذا العمل هو، بواسطة الرّوح، اختراق «للعالم الآتي» في الأمانة لما نقله الرّسل وما عمله يسوع وعلمه.

٤٥- تأتي أهمية هذه الخلافة أيضًا من كون أنّ التقليد الرسوليّ يعني الجماعة وليس فقط فردًا منعزلًا. تنتقل الخلافة الرسوليّة عبر الكنائس المحليّة (في كلّ مدينة، بحسب تعبير هجازيب (Eusebius)، «بسبب قرابتهم الدّمويّة في العقيدة»، بحسب ترتليانوس في كتابه وصف المهرطقة، ٣٢، ٦، De Praescriptione). فهناك تسلسل خلافة أشخاص في الجماعة، لأنّ الكنيسة الواحدة المقدّسة هي شركة كنائس محليّة وليست شركة أفراد منعزلين. ففي سرّ الشركة (koinōnía)، تبدو الأسقفية مركز الخلافة الرسوليّة.

٤٦- وبناءً على ما قلناه في وثيقة ميونيخ، تعني «الخلافة الرسوليّة» أكثر من مجرد انتقال صلاحيّات. إنّها خلافة في كنيسة شاهدة للإيمان، في شركة مع الكنائس الأخرى التي تشهد للإيمان الرسوليّ نفسه. «تؤدّي الكرسيّ (la cathedra) sees» دورًا أساسيًا في إدخال الأسقف في قلب الرسوليّة الكنسيّة» (وثيقة ميونيخ ٢، ٤). ونوضح أنّ مصطلح كرسيّ (cathedra) يُستخدم هنا في معنى حضور الأسقف في كلّ كنيسة محليّة.

٤٧- ومن جهة أخرى، ما إن يُسام الأسقف حتّى يُصبح في كنيسته الضّمان للحياة الرسوليّة، إذ هو ممثّلها في شركة الكنائس، وربطها مع الكنائس الأخرى. لذا، لا يُمكن أن يُحتفل بإفخارستيا في كنيسته، إلّا إذا ترأسها هو أو أحد الكهنة في شركة معه. إنّ ذكره في الأنافور هو أمر أساسيّ (المرجع نفسه).

٤٨- إنّ الارتباط بالشركة الرسوليّة يُقيم الصّلة بين جميع الأساقفة، ويضمن أسقفية الكنائس المحليّة، في جماعة الرّسل (المرجع نفسه ٣، ٤). وهكذا يترسّخ الأساقفة مرّة

إلى الأبد، في الجماعة الرّسوليّة التي من خلالها يشهد الرّوح القدس للإيمان. في الواقع، إنّ الرّسل الاثني عشر، كأساس للكنيسة، هم وحيدون. إنّما كان لا بدّ لأشخاص آخرين من أن يُظهروا حضورهم الذي لا غنى عنه. وهكذا تتمّ الصّلة بين كلّ جماعة، سواء أكان مع جماعة الأصول أم مع الجماعة الإسكاتولوجيّة.

٤٩- يُصبح كلّ أسقف، بسيامته، خليفة للرّسل مهما كانت الكنيسة التي يرأسها أو مكانة (*presbeta*) هذه الكنيسة بين الكنائس الأخرى.

٥٠- بانخراط الأسقف في عداد من أُوكِلت إليهم المسؤوليّة الخاصّة لخدمة الخلاص، وبانتمائه إلى خلافة الرّسل، عليه أن ينقل تعليمهم وأن يتشبّه بهم طوال حياته. يقول القديس إيريناوس في هذا الصّدّد: «يجب أن نتعلّم الحقيقة من المكان الذي وُضعت فيه مواهب الله، أي من أولئك الذين تجتمع فيهم الخلافة في الكنيسة، منذ الرّسل، وكمال السيرة التي لا غبار عليها وصفاء الكلام التّزيه» (ضدّ الهرطقة ٤، ٢٦، ٥ *adversus Haereses*). فمن بين مهامّ الأسقف الأساسيّة أن يكون في كنيسته بقوة الرّوح شاهداً وضامناً للإيمان وأداةً يحفظها في الأمانة الرّسوليّة. الخلافة الرّسوليّة هي أيضاً خلافة في جهود الرّسل وآلامهم في خدمة الإنجيل وفي الدّود عن الشّعب الموكّل إلى كلّ أسقف. فبحسب قول رسالة القديس بطرس الأولى، الخلافة الأسقفية هي أيضاً خلافة في حضور الرّحمة والتّفاهم والدّفاع عن الضّعفاء والانتباه المتواصل لمن يستحقّون المشاركة، فيصبح الأسقف بالتّالي مثلاً للقطيع (راجع ١ بط ٥، ١-٤؛ ٢ قو ٤، ٨-١١؛ ١ تيمو ٤، ١٢؛ تيطس ٢، ٧).

٥١- ويعود أيضًا إلى الخدمة الأسقفية توضيح وتنظيم حياة الكنيسة بخدماها ومهامها. ويعود إليها أيضًا السهر على اختيار من سيمارسون أو من سيمارسن المسؤوليات في أبرشيته. تقتضي الشركة الأخوية أن يصغي جميع الأعضاء من خدام وعلمانيين بعضهم إلى بعض لخير شعب الله.

٥٢- عرفت الكنيسة في الشرق والغرب، إبان تاريخها، أشكالًا مختلفة لممارسة الوحدة بين الأساقفة: تبادل الرسائل، الزيارات من كنيسة إلى أخرى، ولكن، بخاصة، من خلال الحياة السينودسية أو الجمعية. فمنذ القرون الأولى، حصل تمييز وتسلسل هرمي بين الكنائس العريقة في التأسيس والكنائس الأحدث تأسيسًا، بين كنائس الأمتها وكنائس البنات، بين كنائس المدن الرئيسية وكنائس الجوار. هذه التراتبية الهرمية وجدت صيغتها القانونية في المجامع، وبخاصة في القوانين التي قُبلت في مجمل كنائس الشرق والغرب، وهي في الدرجة الأولى القانونان ٦ و ٧ من مجمع نيقيا (٣٢٥)، والقانون ٣ من مجمع القسطنطينية الأول (المجمع المسكوبي الثاني، ٣٨١)، القانون ٢٨ من مجمع خلقيدونيا (المجمع المسكوبي الرابع، ٤٥١)، وكذلك القوانين ٣، ٤، ٥ من مجمع سرديك (٣٤٣) والقانون الأول من مجمع القديسة صوفيا (٨٧٩-٨٨٠). ومع أنّ هذه القوانين لم تُفسر دومًا بالطريقة عينها في الشرق والغرب، إلا أنّها جزء من تراث الكنيسة. فقد حظيت بمكانة وامتیازات، أُقرّ بها في تنظيم الحياة السينودسية، للأساقفة القائمين على بعض الكراسي المتروبوليتية أو الكبرى. وهكذا تشكّلت الرئاسة الخماسية (*pentarchy*)، روما القسطنطينية، الإسكندرية، أنطاكية وأورشليم، ولو أنّه نشأ عبر التاريخ خارج الرئاسات الخمس، رؤساء أساقفة ومتروبوليتيون وجثالقة وبطاركة آخرون.

٥٣- يتجلى الطابع السينودسي لعمل الأساقفة بشكل خاص في المسائل المطروحة للنقاش التي كانت تهم عدّة كنائس محليّة أو مجمل الكنائس. وهكذا نُظِّمَت في كلّ منطقة مختلف أنواع السينودسات أو المجامع المحليّة أو الإقليميّة أو اجتماعات الأساقفة. لقد تغيّر شكلها وفق الأمكنة والأزمنة، بيد أن مبدأها يهدف إلى توضيح حياة الكنيسة وجعلها أكثر فعاليّة بعمل الأساقفة المتضافر تحت رئاسة من يعترفون به الأوّل بينهم. فبحسب قانون الرّسل الرابع والثلاثين، الموجود في التقليد القانونيّ لكنائسنا، لا يُقرّر الأوّل بين الأساقفة إلاّ بالاتّفاق مع سائر الأساقفة، وهؤلاء لا يُقرّون شيئاً مهمّاً إلاّ بالاتّفاق مع الأوّل.

٥٤- في المجامع المسكونيّة المنعقدة في الرّوح القدس، إبان أوقات الأزمات، أقرّ أساقفة الكنيسة بشؤون الإيمان، بسُلطة عليا، وبصورة مشتركة، وأصدروا قوانين لتثبيت تقليد الرّسل في ظروف تاريخيّة كانت تُهدّد الإيمان مباشرةً ووحدة شعب الله وعمله التقديسيّ، وتُعرض للخطر وجود الكنيسة وأمانتها لمؤسّسها، يسوع المسيح.

٥٥- من منظار هذه الشّركة بين الكنائس المحليّة، يُمكننا أن نتطرّق إلى موضوع الأوليّة في مجمل الكنائس، وبخاصّة، أوليّة أسقف روما، التي تُشكّل نقطة خلاف هامّ بيننا والتي ستُنَاقَش فيما بعد.